

العقيدة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر

The French colonial doctrine in Algeria

مختاري الطيب

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

tayeb.mokhtari@univ-mosta.dz

تاريخ النشر: 2024/12/18

تاريخ القبول: 2024/12/10

تاريخ الاستلام: 2024/04/05

ملخص:

أتطرق في هذا المقال إلى العقيدة الاستعمارية وارتداداتها على المجتمع الجزائري، الذي كان ضحية فلسفة استعمارية متطرفة. والتي ارتبطت بفترة مهمة من تاريخ الجزائر الحديثة والمعاصرة، إذ كان التواجد الاستعماري الفرنسي هو المتحكم في جزء من تطور الأحداث السلبية والإيجابية، فقد نجم عنه كل ما هو سلب، لكنه كان سببا محركا لنقلة على مستوى الأفكار والردود تجاه سياسته، التي عملت على ضرب الهوية الوطنية بكل مكوناتها، الدينية، اللغوية، الثقافية.

سلطت الضوء في هذا المقال على مفهوم الاستعمار ومرجعياته، التي استمدتها من تاريخ الاستعمار القديم، فالعقيدة الاستعمارية لا تختلف بتغير المكان والزمان، كما ركزت على الجانب الثقافي والديني لأن الاستعمار أو التحرر هو فكرة وقناعة قبل أن يكون ممارسة وأفعال تستعمر أو تحرر الجسد والوطن، كون تحرير العقول واستعمارها مقدم على تحرير الأجساد والأوطان أو استعمارها.

الكلمات المفتاحية: العقيدة ; الاستعمار ; الأفكار ; القنوات ; الجزائر

Abstract

In this article, I explore the colonial ideology and its impacts on Algerian society, which suffered from this extreme philosophy. This ideology is tied to a significant period in Algeria's history, when the French colonial presence influenced both positive and negative developments, with the outcomes being largely negative. However, it sparked a shift in ideas

and reactions to policies aimed at eroding national identity—religious, linguistic, and cultural.

I discuss colonialism's historical roots and how its ideology remains unchanged over time. I also emphasize the cultural and religious aspects, noting that colonization and liberation begin as ideas and convictions, not just actions on bodies and nations. The colonization of minds precedes the colonization of bodies.

Keywords: Ideology; Colonialism; Ideas; Convictions; Algeria

مقدمة:

بدأ المشروع الفرنسي الاستعماري يتجسد في الجزائر سنة 1830م، من خلال سياسات متعددة شارك في تنفيذها كل من العسكريون ورجال الدين والإداريون وغيرهم، كل ساهم بطريقته لتجسيد هذا المشروع الذي وجهته وضبطته عقيدة استعمارية عنصرية اقصائية، هيمنت على قنوات وأفعال منظريه ومنفذه من بداية الاحتلال حتى استرجاع السيادة الوطنية 1962م، وفي هذا المقال سأحاول الإلمام بهذه الإشكالية، منطلقا من الاستعمار كمفهوم وظاهرة وعقيدة متبناة ومحاولة الكشف عن الضرر الذي لحق بالجزائريين وهويتهم، كما سأجيب على مجموعة من التساؤلات مرتبطة بتفسير وتحليل للظاهرة الاستعمارية المدفوعة بالتعصب الديني وعقدة التفوق الحضاري للجنس الأوروبي، الذي يرى أن من واجبه نشر الحضارة والأخذ بيد الشعوب القاطنة خارج أوروبا، كونها شعوبا لم ترتقي بعد إلى مستوى الأنسنة والتي يغلب على سلوكها التوحش، كما أردت استطلاع وتقصي وتبين القنوات والمواقف الفرنسية الاستعمارية تجاه الثقافة العربية والعناصر المحلية الجزائرية، والدين الإسلامي الذي يكسب الجزائريين مناعة ضد هذا المد الاستعماري، والذي وجب تحيده من حياة الجزائري وإخراجه من دائرة الصراع الجزائري الفرنسي كونه مصدر التفوق والتميز.

جمعت في هاته الدراسة بين المنهج الوصفي والتحليلي، فكل المنهجين يكملان بعضهما.

وكان هدي من وراء الدراسة أن أبين أن هذه العقيدة يميزها التطرف وأن أصحابها تحكمهم عقدة تفوق الجنس الأوربي .

ماهية الاستعمار:

تعتبر الظاهرة الاستعمارية الحديثة مجرد عودة وانعكاس للطبيعة الأوربية الاستغلالية، التي تمتد جذورها إلى العهد الروماني، حيث كانت روما مركز القوة والسيطرة والاستغلال، فجاءت الحركة الاستعمارية الحديثة والمعاصرة مجددة لهذه الطبيعة التي ما فتئت أن تطفو على السطح كلما كان لأوربا مقومات السيطرة وموطأ قدم، ووجدت قابلية لدى الشعوب الضعيفة.

يرى مالك بن نبي أن الأوضاع التي جعلت من دول أوربا حاملة للواء الاستعمار، وجعل لدول القارات الأخرى قابلية للاستعمار، إنما هي البيئة الاجتماعية التي تعتبر المتسبب الأول لهذه الانتكاسة والتهايوي من خلال تراجع القيم الروحية التي تعتبر القوة المحركة للمجتمعات، وبذلك فقدت المجتمعات روح المبادرة وقوة الدفع نحو الأمام، وخضعت لغرائزها وحياة الاستكانة والجمود، والتي من مظاهرها التعاطي السلبي للأمور، العجز، الجمود، وحسب بن نابي أن هذه الوضعية تجعل من الاستعمار حتمية وتحصيل حاصل. وهو بذلك يذهب إلى نفس الطرح والتفسير الذي أشار له بن خلدون، الذي ذهب إلى أبعد من ذلك في طرحه، مؤكدا على وجود هذه القابلية حتى في غياب الاستعمار (عبد الرحمان بن خلدون، 1941، ص 171)

كما يرى بن نابي أن الاستعمار يقدم لبعض الشعوب في بعض الحالات خدمة غير مقصودة، فهو بمثابة الصدمة التي تدعو للاستفاقة، وهو بذلك يقر بفرضية علمية طبية وهي العلاج عبر الصدمة، وبحتمية وجوب تعرض الشعوب إلى امتحان حقيقي يجعلها تستفيق من غيبوبتها. (مالك بن نبي، 2001 : ص 49)

يرى بعض الدارسين المتتبعين للشأن الأوربي وللتحولات التي طرأت على المجتمعات الأوربية المتزامنة مع الثورة الصناعية، بأن الظروف كانت تحتم على الأوربيين البحث على مستعمرات جديدة بعد تراجع نفوذ وسيطرة الكنيسة وفقدان الحكومات لمجالها الحيوي بأوربا، كون الكنيسة النصرانية المرتبطة بالنخب الحاكمة المستبدة فقدت سيطرتها على أتباعها ولم يعد بمقدورها إيجاد وتوظيف وسائل للإقناع، كما عجز رجالها على إبقاء سيطرتهم على العامة بسبب التغير الذي طرأ على تفكير الفرد الأوربي المعاصر، الذي لم يعد هو تفكير العصور الوسطى، أين كانت الكنيسة تفرض الوصاية وتحجر على الأفكار، فبعد تطور الفكر وروح النقد ورفض التسليم دون نقد، بدأ الصدام مع الكنيسة ورفض التسلط، فجاء الاستعمار كحل للخروج من هذا المأزق، ولتجاوز الانسداد الداخلي المهدد للسلطة الدنيوية التسلطية والدينية النصرانية الفاسدة. (محمد الغزالي، 2006 : ص 34)

بدراسة متأنية للحركة الاستعمارية والفكر الاستشراقي، نجد أن الحملة الفرنسية الموجهة إلى العالم الإسلامي حركتها مخاوف وهواجس، إذ كانت تخشى الدورة التاريخية الطبيعة الثانية، والتي ستعطي تفوقا حضاريا للعالم الإسلامي على حساب أوربا، وهي مخاوف تلازم الغرب على مر التاريخ، حيث تعمل دوما على عرقلة هذا التطور التاريخي، وعلى سياسة التفكيك والتصادم والاحتواء لدول العالم الإسلامي.

جاءت الحركة الاستعمارية بعدما رصدت أوربا إشارات لنواة فكر نهضوي يلوح في أفق العالم الإسلامي، فسعت إلى وأده قبل أن يتطور، كما عملت على احتواء هذه النواة المهددة لها، كما هو الحال مع بعض المصريين الذين فتحت لهم باب الدراسة في فرنسا لإعادة رسكلتهم في قالب لا يتصادم مع مصالحها وتوجيههم حسب الفكر الاستشراقي، خاصة بعد انفتاح محمد علي حاكم مصر على فرنسا. وبهذا لم تكن المكاسب المادية وحدها هي المحرك للحركة الاستعمارية، فمكمن الصراع كان حضاريا بالدرجة الأولى.

العقيدة الاستعمارية والثقافة المحلية:

ارتكز التوجه الفرنسي في هذا المجال على أسس متعددة ومدرسة لضرب الثقافة العربية، يأتي في مقدمتها ضرب التعليم العربي والمدرسة الجزائرية، وبدأ ذلك بوضع اليد على الأوقاف وهي الشريان المغذي للعملية التعليمية قبيل الاحتلال، كما ضيق على الزوايا التي كانت منارات علمية، كما عملت على تحييد المساجد عن طبيعتها ووظيفتها التعليمية الإشعاعية حيث كانت مراكزا لنشر التعليم واستقطاب المتعلمين، فركزت على مناطق وفئات معينة ساعية لخلق نواة إدماجية تمكن لفرنسا وللغتها وحضارتها التغريبية. أما الأساس الثاني فتمثل في إحلال المدرسة الفرنسية محل المدرسة العربية الجزائرية التي كان لها دور في هذا الصراع خاصة بعد مرسوم جويلية 1850 المنظم للتعليم، حيث عملت المدرسة الفرنسية في الجزائر على الانتصار للاحتلال فكريا والعمل على تدجين العنصر الجزائري وسلبه الخصوصية الشرقية، أما الأساس الثالث تمثل في ضرب اللغة العربية التي لها بعدا دينيا، فهي المدخل للإسلام كونه انزل بها ولها بعدا تعليميا كما أنها واجهة ورافدا للهوية. عمل الاحتلال الفرنسي على إحلال الفرنسية مكان العربية كلغة للتعليم والتخاطب والإدارة، كما اعتبر تعلمها شرطا للتوظيف بالنسبة للجزائريين.

سعت فرنسا أن يكون تفكير وتعبير الجزائري وثقافته فرنسيا لتسهيل عملية اندماجه وخضوعه، فاتبعت جملة من الإجراءات منها مصادرة خزائن المكتبات وحرق الكتب حتى لا تكون شاهدا على الارث الحضاري ولإحلال القطيعة بين الجزائري وماضيه، فقد عملت على إفراغ وتصحر الجزائر ثقافيا وملء هذا الفراغ بكل ماله صلة مع أوروبا، وما حرق مكتبة الأمير عبد القادر سنة 1843م إلا شاهد على ذلك، كما عمل على التضييق على العلماء ونفهم لتخلو له الساحة، كما حدث مع بن الكبابطي وابن العنابي وهما المفتيان المالكي والحنفي.

سعت لإيجاد مناخ ثقافي مغاير لما كان عليه واتخذ من المدرسة مطية لذلك، وكان عليه أن ينتظر حتى تكون هناك نواة جزائرية داعمة لمشروعه التغريبي ومحافظة على مصالحه وامتداده.

نجد القائد العام حاكم الجزائر دورفيغو يصرح في 15/10/1832 بأن الجزائر لن تكون من الممتلكات الفرنسية إلا بعد أن تصبح الفرنسية لغة قومية فيها... والمعجزة التي ينبغي تحقيقها هي إحلال اللغة الفرنسية محل العربية تدريجيا. (جريدة المبعشر 15 فيفري 1948 م)

تم التركيز في المجال الأدبي على العامية فركزت على الملحون في الشعر وروجت لفكرة أن العربية هي لغة ميتة مثل الإغريقية واللاتينية. تعدى السطو على مكانة اللغة العربية جميع الحدود حيث جاء في جريدة المبعشر الناطقة باسم الإدارة الاستعمارية في 15 أوت 1855 أنه شرع في إلقاء الدروس في باتنة في المسجد بالفرنسية. (الغالي العربي، 2007:ص253)

عمل الاستعمار الفرنسي على ضرب الهوية والثقافة الجزائرية بالتمكين لثقافته وضرب مقومات الثقافة الجزائرية، فأصبحت الأمية هي السمة الغالبة على المجتمع الجزائري بعدما كانت شبه منعدمة بشهادة الفرنسيين أنفسهم، الذين أكدوا على عدم خلو أي قرية من مدرستين اثنتين، فلم تمر سبعون سنة حتى أصبحت الأمية بين الجزائريين تصل 97 بالمائة. عمل على إحداث تغيير جذري في الجزائر، وعلى تحويل الأسس والقيم التي تصاغ من أجل قطع الطريق على حداثة مبنية على إنتاج فكري مستمد من عمق الثقافة العربية، إلى قيم وأسس صاغتها القوى الاستعمارية الفرنسية. والتاريخ يشهد أنه ما من شعب استعمر حتى برزت أسس تحديثية مستمدة من ثقافة المستعمر المحتل. وهنا يكمن خطر الاستعمار، فالمستعمر لن يسمح للمستعمر بالتحديث والتطور إلا وفق منظوره. فالشعوب المستعمرة مستعبدة تحت سيادة مستعمرها، ولن يسمح لها بممارسة الندية للنهوض والتطور. إن رؤية فرنسا لتطوير الجزائر يجب أن يصب في مصلحتها، ومشروع الحداثة يجب أن يقوم على أساس خدمة المستعمر الفرنسي بالدرجة الأولى، وأن يصاغ بأيديولوجيات

فرنسية، لأعرابية محلية، فسعى الاستعمار الفرنسي وما زال يسعى إلى إبقاء هيمنته على الجزائر، وإبقاء سلطته على مشروع الحداثة فيها حتى بعد استرجاع السيادة. (عاصم الخواجا، 2014: ص 2) فقط وحده مسح الثقافة المحلية للشعب الجزائري وإحلال ثقافة المحتل هي من تتيح التمكين لفرنسا، لأن بقاء الثقافة العربية الإسلامية هو من يحصن الجزائريين ويجعل من عملية الرفض والمقاومة خيارا مطروحا وواقعيا وهو ما يؤدي إلى زوال الاحتلال.

عملت فرنسا في هذا الإطار على قلب الصورة من خلال قلب المصطلحات، فأرادت تمرير مفاهيم جديدة كجعل الفاتح المسلم غازيا وإعطاء بعدا اثنيا للفتح الإسلامي كونه غزوا عربيا، وهو ما يؤدي إلى التشكيك في الثقافة المحلية، كما صورت أن أي عملية للتحديث والانطلاق في الجزائر يجب أن تأخذ كل ما هو فرنسي كمرجع لذلك، وهذا ما يؤدي إلى تدمير الثقافة المحلية، والتبعية الثقافية، أو ما يسمى التغريب، ولن تحدث هذه التبعية إلا بهجرة الجزائريين لثقافتهم وتبني الثقافة الفرنسية وهذا مانلحظة مع عملية التغريب والسلخ التي طالت فئة النخبة، فقد صرح المحامي الجزائري لويس خوجة سنة 1892 بأنه ابن فرنسا بالتبني وأنه لا يوجد في الإسلام سورة تمنعه بأن يكون فرنسيا مسلما. كذلك كانت قناعة فرحات عباس المشككة في وجود الأمة الجزائرية عبر التاريخ قبل التقارب الذي حدث له مع الحركة الباديسية.

سعى الاستعمار إلى نشر مظاهر التخلف والانحطاط من عادات راکدة وتقاليد منبوذة، حيث أشاع وشجع الانحراف والرذيلة في الأوساط الشبانية وضيق على كل مبادرة اصلاحية وخيرية تهدد وجود الاستعمار، وتهدف لإنارة العقول، لأن تحرير العقول مقدم على تحرير الأبدان والأوطان.

- العقيدة الدينية التنصيرية:

رغم أن المسيحية ديانة كتابية لها أتباعها إلا أنها منسوخة بالإسلام لما شابهها من تحريف، بعدما زاغ أصحابها عن الطريق، فرغم إدراكهم بأن فكرة اللاهوية هي من تحرك النفس البشرية وهي في المحصلة تؤدي إلى التوحيد، إلا أنهم جعلوها تقرر بتعدد الآلهة، كما أن أتباعها والقائمون عليها متعصبون متطرفون موظفون لها لأجل مصالحهم التي اقترنت بالحركة الاستعمارية. سعيًا منهم لتدارك الحظ الذي فاتهم في أوروبا بعد ظهور الفكر النقدي، لأن الكنيسة لم يعد لها تلك المكانة التي كانت تميزها بتحالفها مع النخب الحاكمة وحجرتها على العلم وعلى التفكير النقدي.

عملت على جعل المستعمرات موطنًا لامتدادها، ولشعوبه أدوات لاستغلالها وكان لها هذا في الجزائر، كون السيطرة الفرنسية لم تحركها المطامع المادية لوحدها، ولم تسيطر على الجزائر وتمكن لمشروعها الاستغلالي العنصري عن طريق القوة فقط، بل كانت هناك مجموعة من الخلفيات والبواعث لهذا الاحتلال، في مقدمتها التعصب الديني الذي كان عقيدة ثابتة تقف من وراءه الكنيسة التي تتحكم في السياسة الدينية للاستعمار، فقد ظهر في المخططات التي تم إعدادها من أجل الحملة العسكرية هذا البعد، فالتوصيات والمشاريع الاستعمارية قبل 1830م لاتغفل الجانب الديني سواء بتجريد الجزائريين من دينهم الذي هو أساس تميزهم أو بالتمكين للنصرانية. كما نجد أن عملية الغزو كانت مباركة من البابا ورافقها القساوسة لتقديم الدعم للغازين، لأن الحرب على الجزائر في نظر الكنيسة هي استمرار للحروب الصليبية.

لم تختلف هذه العقيدة والسياسة فكل الأساقفة الذين كانوا على رأس الكنيسة في الجزائر كان لهم نفس التوجه، بل ازداد مع مرور الوقت خاصة في عهد الكاردينال لافيغري الذي تم تخليده بتسمية منطقة المحمدية التي تحتضن جامع الجزائر اليوم باسمه ولا تخلو المدن والمؤسسات التربوية والشوارع على العهد الاستعماري من حمل اسمه وحمل أسماء رجال الدين المسيحيين.

برزت عدة أسماء وجمعيات في الحقل الديني التنصيري، وحتى جمعيات مديرة لمدارس تعليمية ذات طابع وتسير مسيحي، التي ظهرت مع 1878م وتم تركيزها في المناطق الأمازيغية وبعض المناطق الداخلية مثل البيض، مثل جمعية إخوان المدارس المسيحية التي وصلت إلى الجزائر سنة 1854م وكان لها فروع في المدن الجزائرية (رشيد مرجانة، 2014 : 158)

تميزت هذه العقيدة بإذكاء الحقد تجاه الإسلام كعقيدة وعلى مؤسساته ومعتنقيه، فعملت على جميع هذه المحاور رغبة منها في استبدال الإسلام بالمسيحية وتحويل المؤسسات الدينية الإسلامية إلى كنائس مع تنصير الجزائريين. كما عملت على الاستيلاء على المساجد وتهديمها وتحويلها إلى كنائس مع إقامة القداسات وصلوات الشكر، وعملت على ربط الجزائر بماضيها المسيحي الروماني المزعوم، واعتبرت الاحتلال الفرنسي عملية تكميلية للمشروع الروماني، وترجم هذا المشروع بتأسيس أسقفية الجزائر سنة 1838م، ولم تدخل تحت سيطرة فرنسا مدينة من مدن الجزائر أو أنشئت مستوطنة إلا وتأسست بها كنيسة وكانت هي مركز المدينة، فبمنطقة مستغانم كل المدن الاستيطانية التي أقامتها فرنسا بعد سنة 1846 م كانت الكنيسة هي محور المخطط العمراني للمدينة.

سعت فرنسا من خلال هذا التوجه للتمكين للعقيدة الصليبية في الجزائر والقضاء على الإسلام، مع ضرب الرموز الإسلامية المادية والمعنوية بشهادة الفرنسيين أنفسهم، حيث وظفت فئة من الجزائريين كانوا طلائع للاستعمار مستسلمين خادمين له، مشوهين لمناصبهم ولشخصهم، فكان هدفهم الاسترزاك والتشويش على كل جهد يريد النهوض بالمجتمع ويقف في وجه الاستعمار والكنيسة.

كما شجعت فرنسا بعض الفرق والطرق الصوفية المنكبة على المنكرات والبدع والتي صورت الاستعمار قضاء وقدر لا مفر منه، ووجب الاستسلام له وعدم رفضه وهذا لزرع الهزيمة في الأنفس (محمد عمارة، 2009 : ص 188) ومكنت أصحابها من تقلد مناصب القضاء والفتوة، لكن تأثيرها الشعبي كان محدودا، وبذلك ضعفت وضعفت همة شيوخها

وتقاطعت مصالحها مع الاستعمار، فهذه الطريقة العليوية تحارب التنصير البروتستاني الذي تقف وراءه بريطانيا وتتجاهل التنصير الكاثوليكي المدعوم فرنسيا.

سعت على محو آثار الإسلام من النفوس والألسنة، وضرب الأخلاق والعقيدة، فعملت الحركة الإصلاحية الباديسية على مجابهة هذه السياسة بتقديم الإصلاح الديني على الإصلاح العلمي لطغيان الفساد والعقائد الفاسدة على سلوكيات المجتمع، وتخدير المشاعر وإفساد الفطر وفشل العزائم. (أثار البشير الإبراهيمي، 1997: ص 295)

تظهر العقيدة والسياسة الدينية الاستعمارية من خلال تحييد الإسلام كمرجعية دينية للتقاضي، وذلك بانتزاع صلاحيات القاضي المسلم وفرض الوصاية عليه والذي انتهى بفصل هذه المرجعية الإسلامية، وإعطاء فرصة للجزائريين للتقاضي حتى في أحوالهم الشخصية أمام القضاء المدني الفرنسي.

عملت فرنسا على ضرب رمزية رجال الدين المسلمين في أعين العامة من خلال توظيف رجال غير أكفاء في مناصب الإمامة والقضاء حتى تفقد هذه الوظائف هيبتها ويفقد الحضور الديني هيئته، كما منعت رجال الإصلاح من تصدر المشهد الديني بالتضييق عليهم وكانت تعتبرهم مثل المكروب الذي وجب اجتثاثه عكس رجال الزوايا الموالين لها.

ركزت الكنيسة مجهودها في الجزائر على مناطق وفئات معينة فكانت تركز على فئة الشيوخ والأطفال لقدرتهم التمييزية الضعيفة، فالأطفال يمكن استدراجهم من خلال الهدايا كما أن الفئات العمرية المتقدمة في السن يمكن استدراجها من خلال التكفل بها ورعايتها، وهذه الأساسيات المعاملاتية والتطبيب كلها مناهج ومواد تدرس في المدارس الدينية المسيحية لرجال الدين المسيحيين. فقد أراد المنصرين الولوج إلى قلوب الجزائريين عن طريق التمريض لانعدامه في جل المناطق الداخلية، كما عملوا على ربط صداقات مشبوهة مع بعض الشخصيات الجزائرية حتى يتسنى الاحتكاك بالجزائريين، وتم إرسال لجان للتقصي في قضايا متعددة تؤدي دورا استخباراتيا دينيا، وعمد بعض المنصرين إلى التغلغل في الجنوب

الجزائري كما فعل المنصر دوفوكو الذي عمل على تحرير العبيد واستغلالهم للتنصير لسهولة احتكاكهم بأبناء منطقتهم.

عملت الادارة الاستعمارية على فرض الوصاية على المؤسسات الدينية الإسلامية حتى تتمكن من إدارتها والتحكم في عائداتها وفي توظيف منتسبيها رغم لائكية الدولة الفرنسية، الذي تجلى من خلال إصدار قانون قانون 1905 م لفصل الدين عن الدولة، فرغم التخلي عن تسير المؤسسات اليهودية والمسيحية لكن القانون لم يطبق على الديانة الإسلامية، كما مارست تضيقا على شعيرة الحج بمنعه على فترات زمنية بداعي الوباء حتى لايتسنى للجزائريين الاحتكاك بالمشرق.

وعندما ندقق ونتفحص المخصصات المالية للمؤسسات الدينية الإسلامية والتي هي في الأصل أموال جزائرية، نجدها تقدر بـ 220 ألف فرنك مقابل 3.26 مليون نسمة وهو مايعادل 0.067 فرنك للفرد وهي ضئيلة تترجم الإهمال والضرب الممنهج للإسلام في الجزائر، في المقابل تخصص 920 ألف فرنك لـ 320 ألف كاثوليكي وهو مايعادل 2.87 فرنك للفرد، أما بالنسبة للبروتستانت فتخصص 8 آلاف فرنك وهو مايعادل 10.62 فرنك للفرد، وتخصص 30 ألف فرنك للمؤسسات اليهودية وأتباعها (40 ألف) مايعادل 0.75 فرنك للفرد، وهو إجحاف وظلم يطال المؤسسات الإسلامية التي طالها الإهمال. كما أن الراتب الذي يتقاضاه المفتي المسلم يقدر بـ 3000 فرنك مع حجب الامتيازات عنه ومنها منحة السكن بخلاف ممثلي الديانات الأخرى الذي يتعدى 5000 فرنك مع حضور الامتيازات. (1891/08/30 Le matin du)

عملت فرنسا أيضا على جعل الجزائر قاعدة تبشيرية نحو عموم إفريقيا ففي سنة 1878م تأسست وحدة الإرساليات الكاثوليكية في إفريقيا الاستوائية تحت إشراف الكاردينال لافيغري الذي حل بالجزائر كأسقف للكنيسة في الجزائر سنة 1867م، إذ بعث أول قافلة إلى إفريقيا متشكلة من 10 رجال دين، وقد كان للافيغري دورا بارزا في الحركة التنصيرية بالجزائر خاصة أن مجيئه ارتبط بمجاعة ضربت الجزائر راح ضحيتها 800 ألف جزائري،

فوجد في هذا المناخ منفذ لمساومة الجزائريين على قوتهم اليومي مقابل التنصير ، حيث ركز على الأيتام فتسنى له جمع 12000 يتيم اتخذ لهم قرى خاصة بمنطقة العطايف.(الطيب مختاري، 2016: 106)

كان لافيجري يراهن على إيجاد رجال دين جزائريين متنصرين يكونون نواة للتنصير في الجزائر لسهولة اندماجهم مع الجزائريين، عكس رجال الدين الأوروبيين، فرغم تأسيسه لفرقة الآباء والأخوات البيض وجمعية إخوان الصحراء ومحاولة تشييم في الملبس وطريقة العيش وتوظيف التعليم والتطبيب للتنصير، إلا أن النتائج كانت محدودة خاصة في منطقة القبائل التي اتخذ منها منطقة محورية لبث السموم التنصيرية.

كان رجال الدين يروجون ويعتقدون أن عملية التنصير التي تقودها فرنسا ماهي إلا امتداد لما كانت تقوم به روما، كما كانت القناعة والعقيدة الثابتة التي يتقاسمها رجال الدين والقادة العسكريين بأن الجزائر لن تكون فرنسية إلا إذا كانت مسيحية.

ارتبطت العقيدة الدينية بعملية احتواء اجتماعي، انتهى بالبعض إلى التجنس خاصة بعد صدور القرار المشيخي لسنة 1865 م، فظهرت فئة من الجزائريين لها ارتباط مصلحي بفرنسا أثرت فيهم المدرسة الفرنسية، وتأملت فيهم الكنيسة بأن تكون خطوتهم النهائية هي التنصير والتخلي عن الإسلام، كونهم رضوا بأن يسري عليهم القانون المدني الفرنسي فيما يتعلق بالأحوال الشخصية، وصل عددهم في الفترة الممتدة من 1865 م إلى 1880 م إلى 476 شخصا متجنسا بمعدل 19 متجنسا سنويا، ومن 1880 إلى 1890 م كان عددهم 307 متجنسا، وسنة 1891 م سجلت 16 حالة، أما سنة 1892 كان عددهم 46، و سنة 1893 م كان العدد 37 متجنس (p, 1870, Huges, 191).

أمام هذا التوجه التجنيسي ومخافة أن يؤدي إلى عملية تنصير، عمل رجال الدين الجزائريون على قطع الطريق أمام هذا التوجه، فأفتوا بحرمة مثل ما فعل سي هني مفتي وقاضي الشلف سنة 1892م إذ اعتبر المتجنس خارج عن زمرة الإسلام ، كما كانت فتوى لابن باديس تحرم التجنس أصدرها سنة 1936م، واشترط على المتجنس للعودة إلى دائرة

الإسلام الخروج من إقامته إلى ديار إسلامية أخرى وإعلان توبته. (جريدة البصائر ، 1938 : العدد 95). كما كان الجزائريون يمقتون المتجنسين فحسب صالح بوشناق الذي كان قاض بميلة، أن المتجنسين هم آخر الفرنسيين في السلم الاجتماعي رغم تجنسهم (Stafette du 1891/09/17).

خاتمة:

يتبين لنا من خلال الدراسة المنجزة حقيقة وملامح العقيدة الاستعمارية، لدولة تدعي أنها كانت مهذا لظهور مبادئ حقوق الإنسان، كما وقفنا على قناعة منطري ومنفذي هذه السياسة والبعض منهم محسوب على أنه من منطري علم الاجتماع والسياسة لكن طبيعته كانت استعمارية.

ظلت العقيدة الاستعمارية لدى الأوروبيين والفرنسيين خاصة ثابتة، وتكاد تكون فطرة شبوا عليها من الاحتلال الروماني إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر، قواسمها مشتركة مدفوعة بعقدة التفوق، والنظرة الدونية للشعوب المحتلة، كما كانت مدفوعة بالتعصب الديني والتمكين للمسيحية، كانوا يرون في المسيحية الخلاص وأن جميع الأديان والمعتقدات سواها لا تصلح أن تكون منهاجا للبشرية، خاصة الإسلام الذي كان العداء تجاهه يصل إلى ذروة الحقد. أما في ما يخص الجانب القانوني فرغم تبنيهم للمبادئ والتشدد بالشعارات إلا أنها كانت مقتصرة على مواطنهم دون سواها، فسعوا إلى تجريد المجتمعات وعلى رأسهم المجتمع الجزائري من هويته ومحاولة فرض قالب أوربي لأجل ذوبان هذه الشعوب فيه.

All English Version:

- Ghali Gharbi and others (2007), *The French Aggression on Algeria: Backgrounds and Dimensions*, Algeria, Al-Abiar Center, Ministry of Mujahideen.
- *The Legacy of Bashir Al-Ibrahimi* (1997), compiled and presented by Ahmed Talib Al-Ibrahimi, Lebanon, Dar Al-Gharb Al-Islami, Special Edition.
- Tayeb Mokhtari (2016), *The French Investigation Committees in Algeria and Reactions Towards Them 1830–1891*, Doctoral Dissertation, Higher School of Teachers, Bouzareah, Algeria.
- Ben Naamiya Abdelmajid, Ben Maamur Mohamed, and Hamdi Ahmed (2007), *Encyclopedia of Algerian Figures 1830–1954*, Algeria, Al-Abiar Center, Ministry of Mujahideen.
- Bouazza Boudersaia and others (2007), *French Crimes and Genocide in Algeria during the 19th Century*, Algeria, Al-Abiar Center, Ministry of Mujahideen.
- Mohamed Amara (2009), *Sheikh Al-Ibrahimi: An Imam in the School of Imams: The International Forum for Imam Al-Ibrahimi*, 1st Edition, Lebanon, Dar Al-Gharb Al-Islami.
- Rachid Merjana (2015), *Christianization in Algeria: Between Historical Reality and Future Stakes and Goals in Algeria 1830–1962*, Algeria, Dar Amjad for Printing.
- Malek Bennabi (2001), *The Asian Idea in Light of the Bandung Conference*,

translated by Abdel-Sabour Shahin, Syria, Dar Al-Fikr, 3rd Edition.

- Mohamed Al-Ghazali (2006), *Colonialism: Hatred and Greed*, Egypt, Dar Nahdat Misr for Printing and Publishing.

- Abd Al-Rahman Ibn Khaldun (2004), *The Introduction (Al-Muqaddimah)*, 7th Edition, Lebanon, Dar Al-Qalam.

- *Al-Mubashir Newspaper*, February 15, 1948.

- الغالي غربي وآخرون (2007)، العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد، الجزائر، مركز الأبيار وزارة المجاهدين.

- أثار البشير الإبراهيمي ، (1997) ، جمع وتقديم احمد طالب الإبراهيمي ، لبنان، دار الغرب الإسلامي ط خ .

- الطيب مختاري، (2016)، لجان التحقيق الفرنسية في الجزائر وردود الفعل تجاهها 1830 - 1891 م، أطروحة دكتوراه، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر.

- بن نعمة عبد المجيد بن، بن معمر محمد، الحمدي أحمد، (2007) ، موسوعة أعلام الجزائر 1830 - 1954 ، الجزائر ، مركز الابيار وزارة المجاهدين.

- بوعزة بوضرساية وآخرون، (2007)، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال ق 19، الجزائر، مركز الابيار وزارة المجاهدين .

- محمد عمارة، (2009) ، الشيخ الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة الملتقى الدولي للإمام الإبراهيمي ط 1 لبنان دار الغرب الإسلامي

- رشيد مرجانة، (2015)، التنصير في الجزائر بين الحقيقة التاريخية والرهانات المستقبلية والأهداف المستقبلية في الجزائر 1830 - 1962 م ، الجزائر ، دار أمجد للطباعة.

- مالك بن نبي، (2001)، الفكرة الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، تر عبد الصابور شاهين، سوريا، دار الفكر ط 3.
- محمد الغزالي، (2006)، الاستعمار أحقاد وأطماع، مصر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
- عبد الرحمان بن خلدون، (2004)، المقدمة ط 7، لبنان، دار القلم .
- جريدة المبعثر 15 فيفري 1948 م .

- Hugues Albert , (1870),La Nationalité Française Chez Les Musulmans De l'Algérie , Paris, Librairie Marescq .
- Rene Ricaux (1880) ,Dermographie Figuerie De L Algérie, Paris, Massan Editeur
- Gay Ernest ,L'Algérie D'Aujourd'hui , Paris ,Ancienne Librairie Furne.
- Paul Azan ,(1902), Recherche Dune Solution De La Question Indigène En Algérie ,Editeur Challamel ,Paris .
- Stafette du 17/09/1891 .
- Le matin du 30/08/1891 .